



العرب والإيرانيون... حصاد اللعبة الصفرية

عريب الرنتاوي، 10-01-2018 -

تُعيد التصريحات التي أدلى بها أمين مجمع تشخيص مصلحة النظام الإيراني محسن رضائي حول الأحداث الاحتجاجية الأخيرة في بلاده، وما تضمنته من اتهامات بالأسماء والأرقام والتواريخ والجدول الزمني لعواصم إقليمية ودولية، تعيد هذه التصريحات التأكيد على الحاجة لكسر "الحلقة الشريرة" التي تدور في داخلها العلاقات العربية - الإيرانية، والتي استهلكت الكثير من الموارد البشرية والمادية لكلا الجانبين، على امتداد ما يقرب من أربعة عقود من الزمان، سيما وأن فرص تغلب طرف على طرف، إقصائه أو إلغائه، أو حتى تحجيمه، تبدو ضعيفة للغاية، حتى لا نقول منعدمة.

العرب، معظمهم على الأقل، يجادلون بأن إيران تنتهج سياسة "توسعية" و"تدخلية"، وأنها لا تتورع عن ممارسة عاداتها في "تصدير الثورة"، وأن قبضة من دولهم ومجتمعاتهم، باتت مستباحة من قبل رجالات إيران وأعوانها و"ميليشياتها"... وأن إيران تسعى في تقويض بنية الدولة العربية القائمة، لصالح كيانات "لا دولاتية"، مسلحة في الغالب، "تتمدد" على حساب الدولة ومؤسساتها، وتنهض على رابط "مذهبي" في الغالب... وهذا تقييم صحيح في مجمله، وباعترافات إيرانية صريحة واستفزازية، تصدر في لحظات الانتشاء بالنصر في هذه الساحة أو تلك، أو على هذا المحور أو ذاك.

لكن الناقص في الرواية العربية، أو "المسكوت عنه"، هو قليل من الاعتراف الرسمي، بأن العرب حاولوا مبكراً التدخل في الشؤون الإيرانية الداخلية، وأنهم بدورهم، يسعون اليوم لمواصلة هذا التدخل، وأن تدخلهم هذا، لا يأتي دائماً في إطار "دفاعي" أو من ضمن سياسة "ردعية"، أو حتى من باب "الانتقام" للنجاحات التي حققتها طهران وحلفائها في الإقليم، فعداء بعض العرب لإيران، بدأ مبكراً واعتمد أشكالاً وأدوات شديدة الشبه، بالأدوات التي اعتمدت عليها السياسة الخارجية الإيرانية... لكن الفارق بين الموقفين والوضاعين، أن العرب أخفقوا حيث نجحت إيران، فبدت الصورة، كما لو أن خطاب "المظلومية" العربية، له ما يبرره... ولو أن بعض العرب، توفر على بعض ما لدى إيران، من تخطيط بعيد المدى ونفس طويل، لرأينا ما لا تحمد عقباه في إيران، ولربما كانت إيران، قد سبقت كل من سوريا والعراق، إلى مستنقع التقسيم والتقسام والانقسام.

لقد أعادتني تصريحات رضائي، التي كشف فيها عن "تورط" عربي في "مؤامرة" أعدت في أربيل، وفي ليل بهيم، وبإشراف المايسترو الأمريكي، إلى تصريحات أدلت بها قبل أشهر عديدة، جيهان السادات، زوجة الراحل أنور السادات، لقناة "بي بي سي"، وكشفت فيها عن بعض فصول حوارٍ دار بين الرئيس السادات وشاه إيران، بعيد وصول الأخير إلى مصر لاجئاً في إثر الثورة، وبعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت... السادات، اقترح



على الشاه المخلوع، استدعاء أسطوله من عرض البحر للتجمع في الموانئ المصرية، والبدء فوراً بالإعداد لـ "الهجوم المضاد"، لاستعادة العرش وإحاق الهزيمة بالثورة.

الشاه المخلوع، الذي بدا يائساً، خائراً ومحبطاً، لم يستجب للطلب ولم يحرك ساكناً... لكن العرب لم يتوقفوا عند هذا الحد، إذ ما أن وضعت الثورة أوزارها في طهران، حتى اندلعت حرب السنوات الثمانية، وهي حربٌ شنها العراق كما هو معروف، وبدعم سخي من قبل العديد من العواصم العربية، وبإسناد أمريكي، لم تعد فصوله خافية على أحد.

إذاً، ليس بمقدور أي من الطرفين ادعاء "العقّة" والالتزام بقواعد القانون الدولي وسياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية... ليس بمقدور الطرفين المتحاربين، العربي والإيراني، الادعاء بأن دولهم لم تكن سوى "جمعيات خيرية"، لا تفعل أكثر من "مدّ اليد" للطرف الآخر، الذي قابلها عادة بالصدّ والغدر والتنكر لمبادئ حسن الجوار... الجميع تورط في سياسات عدائية حيال الجميع، في مراحل مختلفة، وبأدوات مختلفة، وبأقذار مختلفة، وهي لعبة يبدو أنها ستتواصل، بل وقد تتفاقم على وقع المواقف العدائية الرعناء التي تصدر عن بيت واشنطن الأبيض، والأرجح أننا سنشهد قريباً على فصول مكلفة منها، قد تتخطى ساحات "حروب الوكالة" المشتعلة منذ سنوات، إلى ساحات جديدة.

التهديد السعودي بنقل المعركة إلى الداخل الإيراني قبل عدة أشهر... والتهديد الذي صدر عن الرئيس حسن روحاني وآخرين في إيران بـ "الانتقام" من الذين تأمروا على بلادهم من "الدول القريبة" ومعاقبتها، ينذر باقترابنا خطوات أوسع وأسرع من "حافة الهاوية"... وإن لم يتخل الجانبان عن "المعادلة الصفرية" في العلاقة بينهما، فقد ينزلقان إلى "قعرها"، وقدّر هذه المنطقة على ما يبدو، أن تبقى في مربعات النار والغضب، ما لم تتعمق القناعة بأن "نظاماً إقليمياً للأمن والتعاون" وحده السبيل للخروج من "الدائرة الشريرة" وكسرها.

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النباء المعلوماتية